ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Prof. Dr. Baqer Ibrahim Al-Zaidi
University: Wasit University
College: CoLLege Of Art
Email:
balzubaidy@uowasit.edu.iq

Keywords:
Husserl, the crisis of science, phenomenological philosophy, consciousness, ego subjectivity

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	20 Apr 2023
Accepted	8 May 2023
Available online	1 Jul 2023

Husserl's attitude on science and his attempt to make philosophy an accurate science

A B S T R U C T

The fascination of European thought at the beginning of the twentieth century with science and its results and practical repercussions on life directly, whether through technological applications or medical achievements, was a great fascination and hopes pinned on it greater. Is it really possible to talk about a crisis of science in such an absolute way, despite its clear and steady successes? This is how the German philosopher "Edmund Husserl 1859-1938" asked at the beginning of his monumental book (The Crisis of European Science and Transcendental Phenomenology) printed in 1936.His answer to this question was yes, there is a crisis, but this does not mean questioning the science of science and its results, but it means one thing, that human "consciousness" cannot be subject to the same experimental method adopted by science, but requires a special philosophical science, which is what phenomenological philosophy is trying to do

© 2023 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/

موقف هوسرل من العلوم ومحاولته بأن تكون الفلسفة علما دقيقا

أ.د.باقر ابراهيم الزيدي /جامعة واسط - كلية الاداب – قسم الفلسفة

الخلاصة:

كان انبهار الفكر الاوربي في بداية القرن العشرين بالعلوم ونتائجها وانعكاساتها العملية على الحياة بشكل مباشر سواء من خلال التطبيقات التكنلوجية او الإنجازات الطبية كان الانبهار كبيرا والآمال المعقودة عليها اكبر . فهل يمكن الحديث بالفعل عن ازمة للعلوم هكذا بشكل مطلق على الرغم من نجاحاتها الواضحة والمطردة ؟ هكذا تساءل الفيلسوف الالماني "ادموند هوسرل 1859-1938 " في بداية مؤلفه الضخم (ازمة العلوم الاوربية والفينومنولوجيا الترنسندنتالية) المطبوع سنة 1936.وكانت اجابته على هذا التساؤل نعم توجد ازمة .لكن هذا لا يعني التشكيك بعلمية العلوم ونتائجها ،بل انه يعني شيئا واحدا ،ان "الوعي" الانساني لا يمكن ان يخضع لذات المنهج التجريبي الذي تتبناه العلوم ،بل يتطلب علما فلسفيا خاصا وهو ما تحاول ان تقوم به الفلسفة الفينومينولوجية.

الكلمات المفتاحية : هوسرل ،ازمة العلوم ، الفلسفة الفينومينولوجية ،الوعي ،الانا ،علم الذاتية

المقدمة

ربما هناك من يتساءل يا ترى هل من المجدي ان يكتب احدهم بحثا يوضح فيه موقف هوسرل من العلوم الطبيعية - والتي يسميها اوربية بالتخصيص دون ان يعطي تبريرا لهذه التسمية – ذلك ان هوسرل قال في كتابه (ازمة العلوم الاوربية والفونولوجيا الترنسندنتالية- مدخل الى الفلسفة الفونولوجية) كل ما يمكن ان يقال عن الموضوع ،وطرح كل الآراء ،فنجد الموقف من العلوم معروض بكل تفاصيله في هذا المؤلف ، فأن كان الامر كذلك فما الذي تبقى للباحث يا ترى ان اراد ان يكتب عن موقفه سوى ان يلخص ويستعرض ما جاء في هذا الكتاب.؟ لكن مهلا الا يبدو هذا الحكم متسرعا بعض الشيء؟ لأن مازال هناك ما يمكن للباحث ان يقوم به الا وهو تتبع مواقف هوسرل السابقة من الموضوع ذاته ،والمبثوثة في مؤلفاته التي نشرها قبل صدور كتابه (الازمة) .وحتى نبين من خلال التقصي عن جذور هذا الموقف ،انه ليس طارئا بل هو نتيجة طبيعية ومنطقية لمجمل ما كان هوسرل يحاول ان يطرحه من فلسفة ومنهج فينومنولوجيان جديدان . لذا فان هذا البحث يحاول ان يقوم بهذه المهمة من خلال المحاور التالية :

المحور الاول :

طموحه الاولي في ان تكون الفلسفة علما دقيقا ،من خلال البحث عن منهج مناسب للفلسفة يمكنها من بلوغ الهدف الذي تصبو اليه منذ نشأتها وهو (بلوغ الحقيقة).وايضا باعتبارها علما كليا وهو الموقف الذي طرحه في وقت مبكر من مسيرته الفلسفية ، في بداية القرن العشرين ، وبالذات منذ ان نشر مقالة (الفلسفة علما دقيقا سنة 1900) في مجلة "اللوغوس" واماله في ان تصبح الفلسفة علما دقيقا وليس مجرد رؤية للعالم من بين رؤى اخرى عديدة .فالفلسفة وان كانت هي رؤية لكن ينبغي ان تطمح الى ما هو اكثر من ذلك أي الى النظرة العلمية الدقيقة .ونقطة الثاني: المشروع الطموح للفلسفة هو انشاء معرفة صارمة ومتحررة جذريا من كل الاحكام والآراء المسبقة.

المحور الثاني :

دفاع هوسرل عن منهجه الجديد المنهج الفينومنولوجي وترسيخه باعتباره المنهج الوحيد القادر على ان يقود الفلسفة من "مجرد رؤية للعالم"، الى ان تكون علما دقيقا يمتلك رؤية علمية راسخة. وكان هوسرل يؤمن ان في طرحه المنهج والفلسفة الفينومنولوجية كفيلان بجعل الفلسفة علما كليا دقيقا بأن فلسفته فكت شفرة اللغز الذي حير الفلسفة طوال تاريخها الا وهو ماهية الارتباط بين الوعي والعالم ،وذلك من خلال بناء عقلانية جديدة هي العقلانية "الذاتية "او" المتعالية ".والتي تالثالث:ما فعل ديكارت من(الكوجيتو = الانا افكر) ثم العودة الى العالم المعاش من اجل بناء المعرفة الموضوعية مرة اخرى.

المحور الثالث :

هو زحزحة يقينية العلوم الطبيعية من اجل افساح المجال للعلم الجديد وهو علم "الذاتية " وهو جوهر الفلسفة حين تصبح علما دقيقا من خلال ممارستها المنهج الفينومنولوجي . ان النقطة الاساسية في نقد هوسرل للعلوم الاوربية وانها في ازمة،انما يكمن في تطرف النزعة "الموضوعاتية" كما يسميها اي : النظر الى كل الاشياء في العالم "كموضوع =object" وهي النظرة التي ستختزل العالم باسره الى حفنة من "الوقائع = facts" وهو مايقود بالتالي الى اهمال الذات تماما او حسب تعبير هيدغر الى "نسيان الكينونة "ان تجاهل العلماء لذاتيتهم الخاصة حسب هوسرل هو خلل اساسي في نشاطهم البحثي ان غياب الاهتمام بلغز الذاتية هو سر ازمة العلوم الاوربية وهو امر ينعكس بالتالي على المجتمعات الاوربية ذاتها .

لقد كان هوسرل طوال مسيرته الفلسفية يحارب على اكثر من جبهة من اجل الفلسفة ،جبهة من يرى ان الفلسفة مجرد رؤية للعالم من بين رؤى اخرى ممكنه . وجبهة الاتجاه التاريخي الذي يقول ان الفلسفة يجب ان تتفرغ لتدوين تاريخها الخاص .وجبهة الاتجاه الفيزيائي الطبيعي المتطرف الذي لا يرى في ظواهر الوعي الا امتداد للظاهرة الفيزيائية ،او باعتبارها نتيجة ثانوية له .فيسلب الوعي جوهرانيته وفرادته المتميزة، وسلاحه على هذه الجبهات الثلاث هو التأسيس الجديد لفلسفة جديدة هي الفلسفة الفينومنولوجية،ومنهج جديد هو المنهج الفينومنولوجي .فهل نجح في مسعاه الطموح هذا ام اخفق ؟ هو امر سيبينه البحث من خلال المحاور الثلاث التي ذكرتها .

المحور الاول :هل من الممكن أن تكون الفلسفة علما ؟

من الممكن القول ودون ان يجابه قولنا هذا باعتراضات كبيرة ، انه منذ ان بزغ فجر الفلسفة في اليونان حوالي القرن السادس قبل الميلاد ،والى وقت قريب ربما حتى بداية القرن التاسع عشر ان 98% من زمن هذا التاريخ للفكر الفلسفي الغربي ، كانت الفلسفة تعتبر أم كل المعارف. فمعظم العلوم وفروع البحث التي لا تزال معنا حتى اليوم. ولدت من رحمها - ولهذا السبب نستمر في تسمية أعلى درجة عليمة في الجامعات وهي الدكتوراه ، ب دكتوراه فلسفة.

لقد كان الفلاسفة ينظرون الى انفسهم وينظر لهم الاخرون ايضا بأنهم (علماء)بالمعنى الحرفي لدلالة هذه التسمية اليوم ،فلم تكن التفرقة التي نقيمها اليوم بين الفيلسوف والعالم موجودة انذاك،وكان الفلاسفة يقدمون مؤلفاتهم ونظرياتهم باعتبارها العلم الوحيد الممكن والحقيقي . فهيوم على سبيل المثال عنون كتابه حول الاخلاق ب"علم الطبيعة البشرية " اي انه رأى فلسفته مماثلة للبحوث الفزيائية التي يقوم بها نيوتن .

لكن متى ادرك الفلاسفة بان ممارستهم للفلسفة او الفلسفة في ذاتها وعند مقارنتها بالعلم فأنها تواجه مشكلة ،الا وهي مشكلة اليقين.؟

ان هذا الطابع غير العلمي للفلسفة يثير تساءل عند هوسرل وهو :هل ان الفلسفة ماتزال ترغب في ان تكون علما دقيقا ؟ وهل ان هذه الرغبة ممكنة التحقيق ؟ حول هذه الاسئلة تختلف العقول وتتشعب الطرق ،والخطوة الاولى بالنسبة له انما تتمثل في هدم ادعاءات الفلسفات السابقة ذاتها بانها علم ،عن طريق نقد طريقتها في التفكير التي تزعم انها علمية ،وحينها فقط يمكن للرغبة الواعية ان تنشأ من جديد وعلى نحو جذري ،الفلسفة علما دقيقا .وذلك عن طريق توضيح شروط العلم الدقيق بشكل كامل ،وهي الشروط التي كانت الفلسفات السابقة تتجاهلها او تسيء فهمها بصورة ساذجة ."هوسرل ،1971، ص 26-27"

ونحن نعرف ان هناك ربما القليل من الفلاسفة قبل(ايمانويل كانت 1724-1805) من كان يشك بدور الفلسفة وقدرتها على اكتشاف حقيقة ما ويمكن ان تتصف باليقين . ولماذا نقول قبل "كانت "؟ لأنه مع "كانت" تمت محاكمة هذه المسلمة لأول مرة بشكل جدي ، فقد راعه ما وصفه "بالفضيحة الفلسفية" وذلك نتيجة لعدم توصل الفلسفة طوال تاريخها المديد الى حقيقة يتفق عليها جميع الفلاسفة ،ويمكن الركون والاطمئنان اليها باعتبارها غير قابلة للشك . في حين ان علما حديثا هو الفيزياء استطاع ان يعرف اسرار الكون بالرغم من جدته . (كان كانت شديد الاعجاب بنظام نيوتن الفيزيائي)،لذا فقد شرع في بناء مذهبه الفلسفي ووضع الحدود الفاصلة بين العلم والفلسفة من خلال توضيح مايمكن ان يعرفه العقل وما لا يستطيع

ان يعرفه ،أي توضيح شروط المعرفة العلمية ،وما الذي يمكن للعقل المحض ان يعرفه. وما الذي ينبغي ان تقوم به الفلسفة ان ارادت ان تكون "علما " من دون تتورط في ادعاءات عريضة لا اساس منطقي لها .لقد حاول كانت ان يجد اساسا متينا للميتافيزيقا ليرد على النقد المتصاعد من جانب العلوم التي اثبتت نجاحاتها بقوة آنذاك ،لكنه وجد نفسه عاجزا عن تبرير المناهج المستخدمة في الجدل الميتافزيقي ،وهو ما جعله يشكك في الميتافيزيقا ودعواها ،لكنه صاغ في النهاية تصوره الخاص عن ما ينبغي القيام به حين نريد ان نقول شيئا ذا معنى ومقبول عن الميتافيزيقا ،اقصد من حيث المنهج .ومن المعروف ان دعوى "كانت " لم تحسم الامر في حقل النشاط الفلسفي ،فقد استأنف الفلاسفة الالمان تفلسفهم متخطين الحدود التي وضعها "كانت "سواء للميتافيزيقا او العقل النظري . وشيدوا مذاهب فلسفية باذخة متجاوزين تحديدات كانت للعقل النظري.

و بعد قرن من الزمان ومع بداية القرن العشرين اثير الامر من جديد وبصورة اقوى هذه المرة من قبل هوسرل وذلك في كتابه (الفلسفة علما دقيقا) وهو الكتاب الذي نشره سنة 1910 في البدء على شكل مقالة في مجلة (اللوغوس) لذا يسمى احيانا بمقال اللوغوس .حيث نتبين بوضح ربط مشروع فلسفة الظاهريات في ان تكون علما دقيقا بجهود من سبقه من الفلاسفة وتكرر هذا الامر في كتابه (الافكار) وبتفصيل مسهب في (ازمة العلوم الاوربية) .

يقتبس هوسرل من "كانت قوله :"ليس باستطاعتنا ان نتعلم الفلسفة بل التفلسف فحسب " ويعلق على هذا القول : ماذا يعني هذا ان لم يكن اعترافا بالطابع غير العلمي للفلسفة، لان العلم الحق هو الذي يمكن تعليمه وتعلمه .ففي العلوم لامجال لوجهات النظر الخاصة او الآراء او الحدوس ،لأنه بمقدار ما توجد مثل هذه الامور في اي مبحث من المباحث فانه لا يكون علما على نحو حقيقي ،بل ربما هو في طريقه الى ان يكون علما حقيقيا .لذا فأن الفلسفة ليست علما ناقصا ،بل انها ليست بعد علما وانها لم تخط بعد خطوتها الاولى بوصفها علما .والنقص في الفلسفة من نوع مختلف تماما عن نقص العلوم جميعا ،ففي الفلسفة لا يقتصر الامر على كونها تملك نسقا من التعاليم يتسم بالنقص ولا يكون قاصرا الا في حالات بعينها ،بل هي ببساطة لا تملك مثل هذا النسق البته ،ذلك ان كل شيء في الفلسفة موضوع للجدل وكل موقف يتخذ هو مسألة اقتناع شخصي ،او تفسير مدرسة او وجهة نظر ."هوسرل ،1971، ص25-26"

بالطبع هوسرل يدرك بانه لن يكون هناك بيان يعلن نهاية الفلسفة او شهادة وفاة لها بالرغم من صدور مؤلفات تحمل هكذا عناوين او قريبة منها ، لماذا ؟ ببساطة طالما بقيت هناك اسئلة لم تتم الاجابة عنها الى الان ، ولم يلتفت اليها العلم او على الاقل يمكن القول انه استبعدها من دائرة اهتماماته باعتبارها اسئلة غير علمية اي لا

يمكن تناولها وفقا لأساليب العلم المتمثلة بالملاحظة والتجربة والاختبار والقياس وغيرها من طرائق العلم ، اي انها لا تخضع لمنهجية البحث العلمي مثل بقية الوقائع العلمية .

وهذا النزوع البشري المتأصل لمحاولة الاجابة عن هذه الاسئلة ، وتكوين وجهة نظر عامة عن العالم هو نزوع لا يمكن الخلاص منه، وهو نسغ الفلسفة الذي يجعلها نشاطا بشريا لا يمكن التخلص منه بسهولة. وهو ما حاولت الفلسفة الوضعية في القرن العشرين جاهدة ان تقوم به . فقد كانت ترى ان محاولة الفلسفة تكوين وجهات نظر كلية عن العالم محاولة لامعنى لها ، أي ان يكون لها "معنى" يمكن ان يوجه له النقد، لأنها ببساطة خالية من "المعنى" ،اي ان قضاياها لا يمكن ان نحكم عليها بكونها صادقة او كاذبة ،وكل قضايا الميتافيزيقا من هذا النوع من القضايا ،لذا هي مستحيلة منطقيا .وكنا نتصور ان الوضعية المنطقية قد قالت القول الفصل وانها قد انهت الفلسفة بالفعل وانها اغلقت الابواب بوجه الفلاسفة ذوي النزعات الميتافيزيقية ،وان على الفلسفة ان ارادت البقاء على قيد الحياة فعليها ان تصبح تحليلية خالصة. وتتساءل الوضعية المنطقية: ماهي يا ترى المعرفة الموضوعية التي يمكن أن تحققها الفلسفة، والتي لا يمكن تحقيقها بالفعل بواسطة العلم؟. وكانت الاجابة جازمة وصادمة وهي :"لا شيء". حجتهم في ذلك ان العلم وحده هو الذي يمتلك القدرة على حل الألغاز الفلسفية المستمرة مثل طبيعة الحقيقة ، والحياة ، والعقل ،والوعي ، والمعنى ، والعدالة ، والخير والجمال . لكن ما يدهشنا هوان الفلسفة استمرت بالازدهار في الغرب بعد الفلسفة الوضعية بصورة مدهشة وفعالية فائقة على خلاف ما كانت تتنبأ به .

وهوسرل كان يدرك ازمة الفلسفة مقارنة بالعلوم ،لكنه لا يعلق في هذا الموقف تاركا الفلسفة تعاني من تهمة ان الكثيرون غير متأكدين من ماهيتها ،أو ما هو موضوعها بشكل محدد ؟. فحتى وان كان الكثيرون يرون أنها نظام من المحاججة شديد التجريد ،مع تأثير ضئيل-إن وجد-على الواقع الموضوعي. فهذا لا ينفي ان الكثير من الفلاسفة لديهم ما يقولوه عن الواقع ،وعن الحياة ،وعن الانسان ،فهي عنصر ثراء للتجربة البشرية .حتى وان كان الادعاء هو أن أياً من هذه الاقوال الفلسفية لا يتأهل في الواقع كمعرفة يمكن ان يتم إثباتها علمياً ،فأنه لا يقلل من اهميتها وحضورها الطاغي.، حالها في ذلك حال الاديان.فهي شديدة الاختلاف فيما بينها ولا يمكن اثبات آرائها علميا لكن بالرغم من ذلك فهي موجودة ومؤثرة ولها قيمة في الحياة .كذلك الامر في الفلسفة فالاختلافات بينها حتى عندما تكون هذه الاختلافات ملحوظة جدا،لاتبرهن على ان الفلسفة لا قيمة لها، أنما هي مؤشر على شيء ما يتعلق بطبيعة الفكر وهو يتفحص التجربة البشرية وخصوصيتها في هذا الوجود. لذا ستبقى الفلسفة رفيقة الانسان،مثلما بقيت الاديان بالرغم من سطوة العلوم على الحياة فهي

القادرة–اي الفلسفة – على ان تتيح للإنسان ان يفهم ذاته من خلال عقلنتها في افكار ،من خلال تحليل الشعور الخالص وتأمل الذات الذي يتيح للإنسان اكتشاف معناه الخاص .

وعندما نضع هذه الخلفية في الحسبان – أي الجدل حول علمية الفلسفة – نستطيع ان نفهم طرح هوسرل وموضعته ضمن سياق هذا الجدل المحتدم .

يقول هوسرل: لقد كان المطلب الدائم للفلسفة منذ بدايتها الاولى ،هو ان تكون علما دقيقا ،ان تكون ذلك العلم الذي يلبي اعمق المقتضيات النظرية للعقل . وقد استمر هذا المطلب ساريا عبر عصور الفلسفة المختلفة .ومع ذلك فان الفلسفة لم تستطع في اي عصر من العصور ان تحقق هذا المطلب .وقد ازداد هذا المطلب الحاحا مع بداية عصر النهضة وبداية تشكل منهج جديد في البحث العلمي ،فكان الطابع العام للفلسفة الحديثة هو محاولتها ان تبني نفسها علما دقيقا ،عن طريق التأمل النقدي ،وبفحصها لمنهجها على نحو عميق وبصورة متكررة ،ولكن كانت ثمرة هذه الجهود كانت خلاف ما تمنته الفلسفة وهو تأسيس العلوم الطبيعية وبعدها العلوم الانسانية وتحقيق استقلالها عن الفلسفة . في حين بقيت الفلسفة كما كانت من قبل تفتقد لطابع العلم الدقيق ."هوسرل ،1971 ،ص23 ".

يعتقد هوسرل ان الفلسفة ليست مجرد نظرة عامة عن العالم ،بل هي اكثر من ذلك فهي معرفة دقيقة – وهنا هو يرجع الى كانت لان كليهما يريدان للفلسفة ان تكون دقيقة مثل العلوم ،بل اكثر دقة منهما .لماذا ؟ لأنها ليست مثل العلوم التي قبلت ان تكون بدايتها من مبادئ سابقة لم تخضع للتساؤل ،من خلال الادعاء بانها واضحة بذاتها ،لكن هنا لا يمكن لنا ان نتحدث عن علم كامل .ومشروع هوسرل برمته يتأسس على هذه التفرقة الدقيقة ،وبالتالي فلن تقوم الاسس التي تقوم عليها العلوم الا من خلال الفلسفة الظاهراتية التي هي المعرفة الاولى والنهائية اي ام كل معرفة ،مثلما كانت الفلسفة سابقا ام كل العلوم .لكن يجب التنبيه هنا الى ان هوسرل يقصد ان تكون فلسفة الظاهريات تحديدا علما دقيقا وليس كل مباحث الفلسفة ،لكنه ربط هذا المسعى بجهود من سبقه من الفلاسفة .فتصوره للعلم لم يكن يختلف عن تصور افلاطون وديكارت اي حدس الماهيات وذلك في مقابل العلوم التجريبية التي تقوم على دراسة الوقائع المادية .فمشروع هوسرل يبدأ ويتأسس على هذه الاطروحة اي التفرقة بين الواقعة والماهية ومنها ينشد الى اقامة الفلسفة الظاهراتية بوصفها علما دقيقا ،وبالتالي تأسيس العلم على نحو سليم في الذاتية وفي علم الذاتية اي الظاهريات .وينبغي الحذر او حتى عدم الالتفات الى ادعاء المذهب الطبيعي :ان لا شيء هناك غير الطبيعة الفزيائية ،فهي كل شيء ،الامر الذي يقود

بالتالي الى "تطبيع " الوعي ومن ثم "تطبيع "الافكار وسائر المثل العليا والمعايير المطلقة وهور امر يرفضه هوسرل بشدة.

ان الفرق الاساسي حسب رأيه، بين العلم بمعناه الدقيق والفلسفة هو ان في العلوم لا محل لاختلاف الآراء او "الحدوس " او وجهات النظر الخاصة ،لأنه ان وجدت مثل هذه الامور لا يعد هذا المبحث علما دقيقا ،بل علما في طريقه الى التحقق فحسب ويحكم عليه بوجه عام على هذا الاساس .ذلك ان كل شيء في الفلسفة موضوع للجدل بسبب الافق اللانهائي للمشاكل القائمة بغير حل ،والتي لن تدع النزوع الى المعرفة يخمد ابدا . لكن كل هذا يجب ان يتغير لان هناك تمهيد للأرض لنسق من الفلسفة جديدة تماما ،ذلك ان هذا التأكيد القاطع للطابع غير العلمي للفلسفة السابقة بأكملها يثير مسالة هي :ان نعرف ان كانت الفلسفة ماتزال ترغب في ان تتمسك بهدفها في ان تكون علما دقيقا ،وهل هذه الامكانية ممكنة ؟

ان الثورات الحاسمة بالنسبة الى تقدم الفلسفة ،انما هي تلك التي يتم فيها هدم ادعاءات الفلسفة السابقة انها علم ،عن طريق نقد طريق سيرها العلمي المزعوم ،وعندئذ تنهض الرغبة الواعية تماما لتنشئ من جديد وعلى نحو جذري الفلسفة بمعنى العلم الدقيق ،موجهة ومحددة ترتيب المهام التي يتحتم علينا القيام بها واولى هذه المهام هي ان يركز الفكر جماع طاقته في ان يوضح عن طريق اجراء فحص منهجي شروط العلم الدقيق توضيحا كاملا وهي الشروط التي كانت الفلسفات السابقة تغفلها او تسيء فهمها بصورة ساذجة . "هوسرل. ،1971، ص 26-27".

ويدافع هوسرل في كتابه "الفلسفة علما دقيقا " بإسهاب عن امكانية ان تكون الفلسفة بالفعل علما دقيقا ،ولكن ليست أي فلسفة او أي نشاط فلسفي، بل الفلسفة التي تقوم وفق الشروط والمفاهيم التي يتطلبها ويقترحها المنهج الفينومينولوجي لتصبح الفلسفة الفينومنولوجية هي الفلسفة كعلم دقيق وليست أي فلسفة. لكن يا ترى ماهي المبادئ والمفاهيم التي تجعل من الفلسفة الفينومينولوجية تحقق ما عجزت عنه الفلسفات السابقة في ان تصير الفلسفة علما دقيقا ؟هذا يتطلب منا ان نستعرض بعض اراء هوسرل التمهيدية لفلسفته.

هناك "المذهب الطبيعي" الذي هو ظاهرة ترتبت على اكتشاف الطبيعة ،وانها تخضع لقوانين طبيعية مضبوطة ويسمي هوسرل كل من يتبنى وجهة نظر العلوم الطبيعية للعالم بالمذهب الطبيعي . وان ما يميز هذا الموقف في جميع صوره سواء المتطرفة او المتسقة خاصيتان هما : "تطبيع الشعور" من ناحية بما في ذلك جميع معطيات الشعور"المحايثة" و"القصدية "- وهما مفهومان اساسيان في الفلسفة الفينومنولوجية -

،والثانية "تطبيع الافكار" وبالتالي سائر المثل العليا والمعايير المطلقة.."هوسرل 1971ص30-31.وهو ما يرفضه هوسرل تماما من خلال تأكيده الذي لا يتزحزح على فرادة الوعي وتميزه عن سائر الظواهر الطبيعية ،فلا يمكن "تطبيع " الوعي مثلما تريد العلوم الانسانية ان تقوم به من خلال تشبهها بالعلوم الطبيعية. ذلك ان المنهج التجريبي دخيل على الفلسفة اتى من خلال محاولتها ان تصير علما على غرار العلوم الطبيعية .ويوضح هوسرل بان محاولة دراسة العلوم الانسانية كعلم النفس والتاريخ ،والاجتماع الانسان دراسة موضوعية "تجريبية " هو الاساس في الازمة التي تعيشها العلوم الاوربية اذ انها تعتمد على العقلانية التي تلغي الجانب الذاتي للإنسان وتقف ندا له "خوري ،1981،ص164" .

ان تصور هوسرل للعلم هو التصور الكلاسيكي وبالأخص عند ديكارت اي العلم بالأسس الاولى والمبادئ اللامشروطة اي المفاهيم الكلية المطلقة القائمة على الحدس اي انه باختصار حدس الماهيات .فنحن حيالثاني:عن مشروع هوسرل لجعل الفلسفة علما فأن المقصود هنا ان تكون الفلسفة علما وفق معطيات الفلسفة الظاهراتية والمنهج الفينومنولوجي ورؤيتها للعلم بانه حدس للماهيات وذلك كمقابل للعلوم التجريبية التي تقوم على ادراك الوقائع ،اذا المشروع برمته يتأسس على هذه التفرقة الدقيقة بين الواقعة والماهية والذي بينه بشكل تفصيلي في كتاب الافكار.

المحور الثاني : تأسيس علم الذاتية

كان هوسرل يشكو من ان عدد غير قليل من مؤرخي الفلسفة – بل حتى من بين تلاميذه انفسهم –قد اسائو فهم منهجه وفلسفته ،فضلا من ان العديد من الشراح قد اختلفوا فيما بينهم حول العديد من آرائه "زكريا ، د.ت.ص313"

ما لمقصود بالذاتية ؟ بالطبع لا يقصد هوسرل هنا بالذاتية ان تكون للميول الشخصية او الانطباعات التي تعتمل في نفس العالم او المفكر دورا في صياغة النتائج النهائية للبحث. بل انه اطلق على الفينومنيولوجيا هذا الاسم الجديد وهو (علم الذات او الذاتية) باعتبار ان هذه الذات في صورتها المتعالية تعتبر الموضوع الاساسي للعلم الجديد ، وما دام موضوع العلم الجديد هو الذات المتعالية فان ميدانه الاساسي سيكون بالضرورة الشعور الذي يرتبط دائما بهذه الذات و المقصود هنا هو الشعور الخالص و ليس الشعور المادي الذي تقوم بدراسته العلوم الوضعية ، ان الفينومنيولوجيا تهتم بدراسة الافعال القصدية للشعور وتتولى وصفها

و تحليلها بدقة تامة دون ان توجه انتباها الى المضمون المتغير لهذا الشعور و تختلف الفينومنيولوجيا عن العلوم الوضعية الاخرى بهذه النقطة الجوهرية بالذات.

ان موضوع الفينومنيولوجيا كعلم كلي جديد يختلف تماما عن موضوع العلوم الوضعية و المذاهب الفلسفية التقليدية التي انتقدها كلها سابقا، سعيا وراء موضوع اخر اكثر عمومية و خصوبة موضوع يتميز بالحيوية و الانفتاح و القدرة على الوصول الى اليقين ، هذا الموضوع الجديد هو الذاتية المتعالية بشتى تجاربها الخصبة التي ستؤدي الى ايضاح جل التناقضات القائمة في العصر الحديث بين الموضوعية الطبيعية و الذاتية المتعالية و هذا هو موضوع الجزء الثاني من كتابه "ازمة العلوم الاوربية" وفيه يقوم هوسرل برد كل علوم الواقع الى علوم الماهية وهذه بدورها يرتد بها الى الانا الخالص حيث تظهر ماهيتها الحقيقية في مجال الذاتية المتعالية ،والانا المقصود هنا ليس الانا التجريبي و ليس الذات الموضوعية التي يدرسها علم النفس و بقية العلوم الوضعية لأنها ستكون حينئذ جزءا من العالم المتغير و انما المقصود هنا هو الانا الخالص او الذات المتعالية التي تحمل في طياتها الماهيات الاساسية للوجود المادي ويطلق هوسرل على هذا الانا الذي يحمل في ذاته شتى انحاء الوجود اسم "الانا المتعالي" وكل ما ينتج عنه من موضوعات تدرسها الفينومنيولوجيا يسميها هوسرل بالمسائل الفلسفية المتعالية .وفنومنيولوجيا هوسرل مرت بمراحل متعددة الى ان وصلت هذه المرحلة وهي مرحلة التعالي وذلك بعد النقد الذي وجهه للرياضيات ،وعلم النفس، والمنطق و بقية العلوم الأخرى، ليصل الى التعالي .والسؤال الذي يطرح نفسه هنا كيف استطاع هوسرل الانتقال من مرحلة كان فيها متعلقا بعلم النفس والرياضيات الى مرحلة أخرى جديدة تتخطاهما و جواب هذا نجده عند هوسرل نفسه ففي كتابه الشهير "تأملات ديكارتية" يقول هوسرل بان ديكارت اعظم مفكري فرنسا اعطى للفينومنيولوجيا الترانسدنتالية عبر تأملاته في الفلسفة الأولى نبضات جديدة كان لدراستها الأثر المباشر في تحويل الفينومنيولوجيا التي كانت في طور التكوين الى شكل جديد من اشكال الفلسفة الترانسدنتالية "هوسرل ،1970،ص163"

والفكرة الديكارتية العظمى تكمن في نظر هوسرل في عزم ديكارت لإصلاح جذري للفلسفة بغية جعلها علما يتمتع بأساسيات مطلقة و إعادة بناء هيكلية المعرفة و توصل هوسرل من كل هذا الى استنتاج فلسفة كاملة تخص المعرفة الديكارتية للذات . "خوري 1984، ص201"

ان الفينومنيولوجيا و مواضيعها و كل جوانبها الفلسفية ما هي الا دراسة للوعي وهذا ما يؤكده هوسرل في قوله بأنها العالم الكلي للوعي المحض "محمد بن سباع ،2015،ص49"

كان هوسرل يريد من الفلسفة ما كان يريده كانت منها وهو ان لا تتشبه بالعلوم التجريبية ،بل اكثر دقة منها .فطالما هي حدس للماهيات فان مبادئها التي تتأس عليها اكثر دقة ووضوحا من الاسس والمبادئ التي تنطلق منها العلوم التجريبية، فهذه افتراضية اخذت على انها صحيحة وواضحة وليست بحاجة الى برهان. لذا فان حاجة هذه العلوم الى الفلسفة – بالمعنى الفينومنولوجي - اساسية لأجلاء يقين الاسس التي تقوم عليها .

وهوسرل متفق مع "كانت" تمام الاتفاق على تحقيق الفلسفة الترنسندنتالية ،ليس بتصورها باعتبارها نظرة عامة الى العالم ملائمة لاحتياجات العصر ومطالبه ،بل بروح علم دقيق متوجه نحو فكرة الصحة المحددة . "هوسرل ، 1971، ص6"

هو ومجال البحث الخاص بالفينومنولوجيا الهوسرلية هو كما اسلفنا الوعي الخالص . ومن ركائز هذا الوعي الخالص مفهوم "القصدية " فهو الاساس والمبتدأ في كل فلسفة هوسرل فهو المبدأ العقلي الذي نستطيع ان نفسر من خلاله كل شيء ،فلايوجد شيء في الكون بأجمعه يتجه الى ما هو خارج عنه سوى العقل هذا هو المبدأ الذي يكمن خلف كل نتاج هوسرل الفلسفي المركب والمتشعب .وهو يحيل الى فكرة الترابط بين فعل الوعي وموضوعه ارتباطا وثيقا ،فالوعي ليس وعاءا محايدا ازاء مايمكن ان يملاء به ،بل انه يتكون من افعال يتحدد طابع كل منها حسب نوع الموضوع الذي يتعلق به .ان الفعل القصدي سواء كان ادراكا او تذكرا او تخيلا او حبا او كرها او رغبة او نزوع او قرارا عمليا او تقويما اخلاقيا ،يتعلق انطلاقا من ذاته بموضوع ما بهذه الكيفية او تلك .ويمكن القول ان الوعي القصدي يحمل في ذاته الارتباط بالموضوع. "هوسرل 2008 ص15". فالعالم تصبح له قيمة عندي لأني اختبره بالتجربة اليومية ،فانا ادركه حسيا ،اتذكره ،افكر فيه بكيفية ما ،واطلق عليه احكام سواء احكام قيمة او احكام وجود ،او ارغب فيه ...الخ وهكذا يستمد العالم معناه الخاص والكلي بل ويستمد شرعية وجوده كلها من هذه الافكار التي افكر فيها وحدها ،وبالنتيجة فان الوجود الطبيعي للعالم يفترض مسبقا وجود الانا افكر الخالص وافكاره التي يفكر فيها ."هوسرل ،2007،ص 112"

ان الانسان في حياته الطبيعية يمتلك موقفا ضمنيا من الاعتقاد بوجود العالم ،والمطروح على الفينومنولوجيا هو تحويل هذا الموقف الطبيعي الى موقف فلسفي ،يكون الوعي القصدي في الموقف الطبيعي غارقا في الموضوعات التي ينصب عليها اهتمامه ،لكن الفينومنولوجي يجعل من الكيفيات المعطاة من هذه الموضوعات والتي عادة لا نعير لها بالا محط اهتمامه ،ان اهتمامه لا يتجه نحو الموضوع الذي يقصده الوعي ،بل نحو الموضوع في كيفيات عطائه للوعي وفي اندراج هذه الكيفيات في افق العالم .وعليه يجب ان يتوقف عن انجاز الاعتقاد في وجود الموضوعات المقصودة وان يتحول الى ملاحظ غير مهتم او غير

مشارك .وهذا لا يعني ان يتخذ موقفا شكيا ينفي وجود هذه الموضوعات بل ان يمتنع عن اتخاذ اي موقف يتعلق بوجود الموضوعات سواء كان اثباتا او نفيا وهو ما يسميه هوسرل ب"الايبوخية " أي "تعليق الحكم. "هوسرل ،2008 ص235-236" ومع هذا الموقف الايبوخي الجديد يتحرر نظر الفيلسوف تحررا كاملا من ذلك القيد الداخلي الاقوى والاشمل والاكثر خفاءا،من قيد العطاء المسبق للعالم .ومع هذا التحرر وفيه يتم اكتشاف ذلك التعالق الشامل المنغلق مطلقا على ذاته والمستقل مطلقا ،بين العالم ذاته ووعي العالم .نعني حياة وعي الذاتية التي تنجز صلاحية العالم ،وبالنتيجة الذاتية التي تمتلك بفضل مكتسباتها المستمرة العالم وتعيد دائما من جديد تشكيله بكيفية فعالة . "هوسرل ،2008 ص241"

المطلوب هو دراسة الوعي او الشعور في مجموعه ،وبما ان الوعي هو دائما وعي بشيء ما ، فان بحث الدلالة الماهوية للوعي ،وعلى دراسة موضوعية الوعي ،وهذا ما يحققه العلم الجديد الذي يدعو اليه هوسرل أي علم للوعي ،وهو يفترق عن علم النفس ،لان هدفه هو اقامة علم لظاهريات الوعي او الشعور في مقابل علم طبيعي عن الوعي والشعور ،ولابد ان نتوقع مقدما ان يكون علم الظاهريات وعلم النفس مرتبطا كل منهما بالأخر ارتباطا وثيقا ،من حيث ان كليهما يهتم بالوعي ،لكن وفق منهج مختلف في كليهما فالأول يهتم بالوعي بصورته الخالصة في حين ان علم النفس يهتم بالوعي التجريبي منظورا اليه على انه شيىء موجود هناك في مجموع الطبيعة وبعبارة "ميرلو بونتي " ان الوعي عند عالم النفس التجريبي لا يتميز وجوده عن نوع وجود الاشياء .وهوسرل يرفض كل ادعاءات علم النفس التجريبي بانه العلم الوحيد المعني بتحليل الوعي من خلال استبعاده لكل تحليل مباشر وخالص للوعي ،وربما هو يدرك ان قبول مشروعه الظاهراتي لا يمر الا من خلال تحجيم ادعاءات علم النفس التجريبي العريضة ،ويشبه العلاقة بينهما بطبيعة العلاقة القائمة بين الاحصاء الاجتماعي وعلم الاجتماع الاصيل فالأول يجمع وقائع لها قيمتها لكن الفهم الصريح المباشر لهذه الوقائع والتوضيح العلمي لها فلا يقدر على بلوغها الا علم اجتماع اصيل ،وبالمثل فمعرفة الوقائع تنتمي الى علم النفس اما فهم التصورات مثل الادراك الحسي والصورة الذهنية والوعي وغيرها من التصورات التي تستخدم في فهم هذه الوقائع فتنتمي الى علم الظاهريات او ما يسميه هوسرل لاحقا بعلم النفس الماهوي وهذا النوع من الدراسة هو "الظاهريات الخالصة " التي حددها هوسرل وقدمها بوصفها اساس العلوم جميعا فهي خالصة لأنها لا تأتي من كون الطبيعة موجودة لأنها لا تبحث الا في الماهية وليس بحثا في الآنية = اي الموجود هناك."هوسرل، 1971 .ص14-19"

ان التأثير الرئيس الذي خضع له تفكير هوسرل هو علم النفس القصدي الذي وضعه استاذه (فرانس برنتانو1838-1914) في كتابه "كشف النفس" وهذا الكتاب هو محاولة لوضع تخطيط منطقي للتصورات الذهنية باعتبارها تمهيدا ضروريا لأي علم نفس تجريبي .لكن هوسرل ذهب الى ابعد من مفهوم استاذه وطوره الى خليط معقد ومتشعب بحيث اصبح اساسا لعلم جديد ،بدل ان يكون مدخل الى علم النفس .فهو يوسع مجال الكشف النفسي الذي دعا اليه برنتانو وتصنيفه للحالات العقلية الى حالات تصورية ،واحكام ،ومواقف، وقيما ،ورغبات . ويعزز انتقاد برنتانو لفكرة ادخال المذهب الطبيعي في دراسة الظاهرة النفسية او محاولة جعل مجال الوعي والشعور وكانه امتداد للعالم الفزيائي . فلا احد يستطيع الشك في ان الحالة النفسية التي يدركها انسان ما في نفسه لا توجد على نحو ما ادركها انا ،ان الحقيقة الذاتية لا تقل قيمة وصحة عن الحقيقية الموضوعية ،وتلبي مطلب العودة الى الحياة الى اليومي والى العيني والمعاش. "نادية الثالث:2013ص149"

المحور الثالث : زحزحة يقين العلوم الطبيعية

صدر كتاب "ازمة العلوم ألاوربية " سنة 1936 بشكل غير مكتمل، لكن تبلورت فيه بشكل واضح رؤية هوسرل لما ينبغي ان تقوم به الفلسفة ،وايضا لما ينبغي ان تلتفت اليه العلوم الطبيعية ،من انها ذهبت بعيدا في "موضوعيتها" . لكن هذا الموقف لم يظهر مع كتاب "الازمة " بل انه لا ينفصل عن سياق تاريخي متصل في فلسفة هوسرل ابتدأ منذ صدور مقالة "اللوغوس" التي اشرت اليها في المحور الاول والتي حاول فيها ان يدشن للفلسفة منهجا جديدا لتكون نشاطا علميا دقيقا . والامر ذاته فيما يخص ازمة العلوم فمعظم الطروحات التي سيتم ذكرها في كتاب " الازمة " انما ذكرت في محاضرات "براغ " بعنوان "السيكولوجيا وازمة العلم الاوربي 1935" وهي دراسة مشهورة ، والتي طورها فيما بعد الى كتاب الازمة فهذه المقالة مركزة وتساعد القارئ على ادراك مضمون كتاب الازمة والامساك بمساره الفكري وبالروابط بين مختلف مقاطعه .وهذه المقالة منشورة ايضا ضمن كتاب "الازمة "بترجمته العربية . "هوسرل .2008 ،ص33"

تساءل هوسرل في بداية هذا الكتاب فكتب : هل يمكن ان نتحدث جديا عن ازمة للعلوم بشكل مطلق رغم نجاحاتها المطردة ؟ ان ازمة علم ما لا تعني سوى ان علميته الحقه اصبحت موضع تساؤل ،ان هذا الوصف يصح بالفعل على الفلسفة التي تعيش في وقتنا الحاضر تحت تهديد النزعات الشكية واللاعقلانية والصوفية . فلا يمكن لنا ان نتملص من بداهة انجازاتها المتصاعدة يوميا ونحن مدنين لهذه العلوم بعدد لا يحصى من الابتكارات والاكتشافات التي غيرت كليا عالمنا المحيط الواقعي في اقل من قرن ."هوسرل 2008 ص41".

لقد كان انبهار الفكر والأنسان الاوربي بالعلوم ونتائجها وانعكاساتها العملية على حياته بشكل مباشر سواءمن خلال التطبيقات التكنلوجية او الانجازات الطبية وتحسين مستوى العيش كبيرا ،وكان الامل اكبر في تحقيق المزيد من هذه الانجازات .هكذا كان المناخ الفكري في اواخر القرن التاسع عشر في اوربا في نزعته العلمية الشديدة ،وهوامر ادى فيما بعد الى ظهور النزعات التي تقلل من شأن الفلسفة التأملية وتسخر من فلاسفتها وطروحاتهم باعتبارها كلاما فارغا لامعنى له وهذه هي دعوة الوضعية المنطقية. لكن لماذا ظهرت مثل هذه الطروحات؟ الحجة الجاهزة هي ان الفلسفة لا تمتلك الاساس الموضوعي المتين الذي يقوم عليه العلم .لكن هوسرل يرفض كل هذه الادعاءات، سواء النزعة التفاؤلية المفرطة بالعلم اوادعاء لا علمية الفلسفة . حيث ذهب بعيدا في الحفر عن الاسس التي قام عليها العلم الحديث ،ونقده لهذه الاسس باعتبار انها قادت في النهاية الى غياب المعنى ونسيان الذات اواهمالها والاغتراب والضياع الاخلاقي والانطولوجي .ان النزعة الموضوعية للعلم قادته الى اقصاء كل ما هو ذاتي وانساني وقيمي بدعوى المقاييس والضوابط العلمية الموضوعية ليبدو وكأن العالم الحقيقي المعبر عنه بالمعادلات الرياضية هو العالم الحقيقي ،بينما تم اعتبار عالم "العيش" اليومي مجرد تعبيرات تقريبية ذاتية ونسبية وهي تشكل خطرا على الحقيقة العلمية وصياغاتها النظرية فهذه النزعة الموضوعية هي المسؤولة عن ازمة المعنى في العالم المعاصر . "هوسرل.2008 ص 397 – 398".

وهوسرل لا يكتفي بالنقد فقط بل يقدم الحل المتمثل في مشروعه الفينومينولوجي فهو الكفيل اولا بانتشال الفلسفة من الدوران حول ذاتها بجعلها علما دقيقيا مثل بقية العلوم وهو ايضا كفيل بإنقاذ العلوم الاوربية سواء الطبيعية منها او الانسانية من نزعتها الموضوعاتية المفرطة وذلك بإفساح المجال للأسئلة العميقة ان تتخلل البحث وان لا نكتفي بالنظر الى العالم باعتبارها عالم وقائع فقط، ."هوسرل 2008 ،ص 44 "

ويجب ان انبه الى نقطة هنا :ربما يتبادر الى ذهن القارئ ان هوسرل سواء من خلال عنوان كتابه او متنه ، يشكك بهذه العلوم اوعلميتها او منهجيتها الصارمة او يقلل من شأنها وشأن انجازاتها ،او يدعو الى التخلي عنها ،بالطبع لا فهذا امر ابعد ما يكون عن تفكيره حتى وان كانت هناك خلافات فيما بين العلماء في الحقل العلمي الواحد ". فالفيزياء ستبقى علما دقيقا سواء مع نيوتن او مع بلانك او مع انشتاين او اي كان في المستقبل ونحن لانكف عن الاعجاب بها كنموذج للعلمية الصارمة والناجحة "هوسرل 2008 ،ص42".

اذا كان الامر كذلك فكيف يتحدث عن ازمة للعلوم بمختلف تخصصاتها الطبيعية منها والإنسانية بل وحتى الرياضية. ان الازمة بالنسبة لهوسرل وكما ذكرت قبل قليل تتمثل في مسائلة الاسس فهي ازمة تتمثل في

الاسس التي قامت عليه العلوم الاوربية ابتدا من عصر النهضة وبالأخص مع غاليليو ودعوته المشهورة الى ان تكون الرياضيات هي المنهج العلمي في دراسة الطبيعة لان الطبيعة مكتوبة بلغة رياضية .والاسس تختلف من علم الى اخر .لكنها تبقى مع ذلك في ازمة،وهي تدعونا الى ان نتساءل عن معنى العلم ذاته ،وهل النزعة "الموضوعاتية" اي : النظر الى كل الاشياء في العالم "كموضوع =object" بما فيها الوعي الانساني ،وهي النظرة التي ستختزل بالتالي العالم باسره الى حفنة من "الوقائع = facts" وهو مايقود الى اهمال الذات بطبيعتها المتفردة والتي لا يمكن ان تكون واقعة مثل بقية وقائع العالم الموضوعي،او حسب تعبير هيدغر يؤدي الى نسيان الكينونة .ان تجاهل العلماء لذاتيتهم الخاصة حسب هوسرل هو خلل اساسي في نشاطهم البحثي ان غياب الاهتمام بلغز الذاتية هو سر ازمة العلوم الاوربية. وبالتالي يتوجب ان نقوم بإخضاع علمية جميع العلوم الى نقد جذري وضروري دون ان نتخلى ،بسبب ذلك عن المعنى الاول لعلميتها الذي لا يمكن الطعن فيه من زاوية مشروعية انجازاتها العلمية ."هوسرل 2008 . ص43"

يرى هوسرل ان رؤية الانسان الاوربي الحديث للعالم تحددت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كليا من قبل هذه العلوم الصرفة وانبهاره بالازدهار الناجم عنها. لكن هذه الرؤية الجديدة قادتنا الى نتيجة غير مريحة الا وهي: الإعراض في لامبالاة عن الاسئلة الحاسمة بالنسبة للبشرية والتي رافقت مسيرته طوال التاريخ ،ان علوما لا تهتم الا بالوقائع البحتة تصنع بشرا لا يعرفون غير هذه الوقائع ."هوسرل 2008 ،ص44"

لكن هذا الموقف شهد تحولا بعد الحرب العالمية الاولى بل اصبحت هناك نظرة عدائية للعلم ،لان ليس لديه ما يقوله لنا في هذه المحنة التي تلم بحياتنا ،انه يقصي مبدئيا تلك الاسئلة بالذات التي تعتبر هي الاسئلة الحياتية الملحة بالنسبة للانسان،الاسئلة المتعلقة بمعنى هذا الوجود البشري كله او لامعناه،وهل يمكن ان يكون هناك معنى في هذا العالم ؟الذي تحطمت فيه كل الانظمة الحياتية التي تعطينا سندا،وانحلت فيه كل الروابط الداخلية والذي لا يعلمنا فيه التاريخ سوى ان العقل يصبح عبثا والنعمة تصبح نقمة ؟ هل يمكن ان نعيش في عالم تعتبر فيه المثل العليا وكل ما كان مقدسا عند الانسان مجرد "واقعة" عابرة تاريخيا مرتبطة بالتقويم البشري ويكون فيه التاريخ البشري مجرد سلسلة من الاندفاعات الوهمية والخيبات المريرة ؟ هل يمكن ان نعيش دون ان نستوثق من معنى مطلق لوجودنا ولعالم بان له صلاحية ازلية ؟ "هوسرل 2008 ص473".ان كل هذه الاسئلة الحارقة تقصيها العلوم الصرفة ،بل وحتى تلك العلوم التي تدرس الانسان في وجوده التاريخي تشارك في هذا الاقصاء وذلك بحكم تقيدها بما تسميه "الموضوعية " وما يحدد منهج

علميتها بأكمله . ان هذه النغمة الحزينة في لغة هوسرل انما هي انعكاس فعلي وجدي لما كانت تعانيه القارة الاوربية العجوز اجتماعيا وسياسيا من حروب طاحنة وصعود الدكتاتوريات وانتشار التعصب الامر الذي انعكس على الفكر الذي استشعر ابعاد الازمة وجذورها الكامنة في الخيبة من الآمال العريضة لعصر التنوير في قيادة العقل للبشرية السعيدة .لكن هوسرل يستطرد فيقول: لم يكن الامر دائما على هذا النحو فلم تكن العلوم مقطوعة الصلة بالإنسان والمشاكل الانسانية الحقه ،اذ ان الفلسفة بفكرتها الاصيلة باعتبارها علما شاملا كانت هي المعنية بالإجابة والبحث عن هذه الاسئلة،وذلك قبل التحول المصيري الذي طرأ على هذا المفهوم فلم تعد الفلسفة علما شاملا ،حيث اصبحت الميتافيزيقا والفروع المتعلقة بها والتي تضم الاسئلة العليا والاخيرة والتي يعنيها اليوم وحدها اسم الفلسفة ، فاقدة لمصداقيتها بالمقارنة مع نتائج ووقائع هذه العلوم المزدهرة ،الى الحد الذي اصبح فيه لا ينظر الى الفلسفة وفروعها نظرة جدية وان امكانية تحولها ذات يوم الى علوم اصبحت موضع خلاف. اذا اصبح قارا في الوعي ان مفهوم العلم يشير مباشرة الى العلوم الوضعية الصرفة. ان العلم الذي ملأ الانسان الحديث منذ النهضة الى الان بانشراح كبير وثقة عالية بالذات ،والذي لم يتخلى عن مع ذلك عن اسم الفلسفة – اكراما لها وايضا متابعا في ذلك التقليد اليوناني القديم - اراد هذا العلم ان يحيط بكيفية علمية صارمة بكل الاسئلة المعقولة والتي كانت تطرحها الفلسفة طوال تاريخها ،في وحدة نسقية بمنهجية قطعية وفي تقدم للبحث لامتناه منظم عقليا .اذا يجب ان يجيب هذا البناء المنظم عن كل الاسئلة ويحل كل المشاكل ،بما فيها المشاكل الحياتية للإنسان .ان مشاكل الوجود البشري هذه ،ترتبط ارتباطا وثيقا بالمشاكل الميتافزيقية التي حددها الدين مسبقا وبأسئلة وجود الاله وماهيته ،اسئلة الغائية التي تسود الوجود البشري والاله."هوسرل 2008، ص 472". وقد اقتنعت الفلسفة الحديثة بان هذه المشاكل وكل مشاكل الوجود عموما تمثل وحدة لاتنفصم،وان معالجتها في وحدة هي بالذات مهمة الفلسفة،وكذلك الاقتناع بان تفرع الفلسفة الى علوم خاصة يسوده نظام داخلي معقول يجعل الميتافيزيقا بوصفها علما للأسئلة العليا والاخيرة تتبوأ مكانة العلم الملكي الذي يعطي روحه في الاخير معنى لكل العلوم الاخرى . هكذا كان يعتقد المؤسسين الكبار للفلسفة الحديثة وذلك في رد فعل ضد التفلسف الاسكولائي، ومن خلال منهاجهم الجديدة اعتقدوا بانهم اسسوا فلسفة دائمة ، لكن هذا الحماس الفلسفي عند الانسان الحديث لم يبقى ثابتا على حاله ،بل انه فقد الايمان في قيام الفلسفة الشاملة الموعودة ، اذ نجحت العلوم الطبيعية التي استقلت بطريقة صارمة عن الفلسفة بتحقيق نجاحات واضحة . وكانت محاولة محاكاة هذا المنهج الذي تمارسه العلوم في ميادين اخرى ، مثلا في الميتافيزيقا والاخلاق وغيرهما محاولة لم يكتب لها النجاح ولم تصل الميتافيزيقا بتاتا الى ازدهار دائم بمعنى نهوض محكم منهجيا . وهكذا اصبح من اللازم القيام من جديد بتأملات منهجية نقدية امتدت بالضرورة الى

نقد منهج علماء الطبيعة بهدف فهم انجازاتهم.فتوصلت دفعة واحدة الى اسئلة تتعلق بالجانب الذاتي .وهكذا اصبحت الذاتية دفعة واحدة مشكلا مثيرا للقلق . واصبح كل شيء متأرجحا وان اليقين الرائع من ان المشاكل يمكن حلها اجمالا ،بل انه قد تم حلها ،وبالتالي امكانية بناء بشرية جديدة بكيفية عقلية على الارضية الراسخة للعقل المستقل ،هذا اليقين الرائع انكشف بوصفه سذاجة ، لذا يتوجب علينا ان نوضح بشكل اعمق ماذا يعني تجديد الفلسفة بالنسبة للإنسان الجديد ،الفلسفة التي اصبحت موضع ازدراء من قبل رجال العلم والثقافة الذين جرفتهم نجاحات العلوم الوضعية .ومع ذلك فقد تم الشعور عند مجموعة صغيرة على الاقل بالمعنى العميق للحوافز التي بزغت في "الفلسفة الترنسندنتالية" وبضرورة اخذها بعين الاعتبار. "هوسرل 2008 ص471-475".ان هذه الفلسفة الترنسندنتالية التي يتوجب اخذها بنظر الاعتبار أنما هي المنهج والفلسفة الفينومنولوجية باعتبارهما الفلسفة وقد اصبحت علما دقيقا مهمتها فك لغز الارتباط بين الوعي والعالم من خلال بناء عقلانية جديدة هي العقلانية الذاتية او المتعالية .والتي تنطلق مثلما فعل ديكارت قبله من "الكوجيتو = الانا افكر" ثم العودة الى العالم المعاش من اجل بناء المعرفة الموضوعية مرة اخرى،انها فلسفة تقوم على بديهية ان وجود الوعي ليس وجودا مثل بقية اشياء العالم بل هو وجوادا فريدا ومختلفا تماما وبالتالي يتطلب علما جديدا هو علم الذاتية ، كما مر بنا في المحور الثاني من هذا البحث .

هوسرل يحارب النزعة الموضوعية في كتاب "الازمة " ،مثلما حارب قبلها الفلسفة القائمة على المذهب الطبيعي=المادي وهو المذهب الذي لا يرى سوى الطبيعة الفزيائية الخاضعة لقوانين لا تحيد ولا تتغير،وبالتالي لم يعد هناك مجال لعالم الشعور والافكار وسائر المثل العليا المطلقة. لأنها ستكون مجرد نتاج ثانوي للظاهرة الفيفزيائية. من اجل غاية واحدة فالهدف لم يتغير بالنسبة له الا وهو تأسيس الفلسفة علما دقيقا قائم على (الذاتية)او(علم الذاتية = اي الظاهريات) ان هدفه هو قامة علم لظاهريات الوعي في مقابل علم طبيعي تجريبي عن الوعي او الشعور. ومن المؤكد ان علم ظاهريات الوعي وعلم النفس مرتبطان بشكل وثيق لان موضوعهما واحد وهو الوعي لكن وفق منهج مختلف في كليهما فالأول يهتم بالوعي بصورته الخالصة في حين ان علم النفس يهتم بالوعي التجريبي منظورا اليه على انه شيىء موجود هناك في مجموع الطبيعة وبعبارة "ميرلو بونتي1908-1961" ان الوعي عند عالم النفس التجريبي لا يتميز من نوع وجود الاشياء.تد ،2003ص993".

يرفض هوسرل كل ادعاءات علم النفس التجريبي بانه العلم الوحيد المعني بتحليل الوعي من خلال استبعاده لكل تحليل مباشر وخالص للوعي وربما هوسرل يدرك ان قبول مشروعه الظاهراتي لا يمر الا من خلال

تحجيم ادعاءات علم النفس التجريبي العريضة. وهو يشبه العلاقة بينهما بطبيعة العلاقة القائمة بين الاحصاء الاجتماعي وعلم الاجتماع الاصيل فالأول يجمع وقائع لها قيمتها لكن الفهم الصريح المباشر لهذه الوقائع والتوضيح العلمي لها لايقدرعلى بلوغه الا علم اجتماع اصيل.وبالمثل فيما يخص الوعي فمعرفة الوقائع تنتمي الى علم النفس التجريبي اما فهم التصورات مثل الادراك الحسي والصورة الذهنية وغيرها من التصورات التي تستخدم في فهم هذه الوقائع فتنتمي الى علم الظاهريات او ما يسميه هوسرل لاحقا بعلم النفس الماهوي وهذا النوع من الدراسة هو "الظاهريات الخالصة " التي حددها هوسرل وقدمها بوصفها اساس العلوم جميعا فهي خالصة لأنها لا تأتي من مسلمة كون الطبيعة موجودة لا نها لا تبحث الا في الماهية ،وليس بحثا في الآنية = اي الموجود هناك ."هوسرل 1971، ص19-14" ان غاية هوسرل عبر هذا التأمل التاريخي في اصول الموقف العلمي والفلسفي انما هو"الضروروة الحتمية لإعادة توجيه الفلسفة شطر الفينومينولوجيا الترانسندنتالية .ومن خلالها يمكن للفلسفة ان تحضي بالاستمرارية والقبول وان تكف عن الادعاء بانها تضيف حقائق لمعرفتنا الفعلية بالواقع التي تزودنا بها العلوم التجريبية لان مجالها هو الانا الخالص الذي يبحث في المعاني والماهيات الذي يتخذ مجاله في الشعور الخالص المطلق الذي يمكن الاهتداء فيه الى الاصول الاولية لكل الظواهر ،والبداية تكون من دراسة "المباشر" ،وهذا المباشر في نظر هوسرل ليس العالم المحسوس ،كما يذهب الى هذا التجريبيون والحسيون ،ذلك ان التجربة الحسية لا يمكن ان تعطينا اليقين الذي يستبعد امكان الشك في وجود العالم المحسوس ،فكل "موضوع " يعطى لنا على انه شعور واقعي او ممكن للانا المفكر ،لذا فالعالم كله المحيط بي ليس غي "ظاهرة وجود "وليس عالما موجودا بيقين .ان الاشياء الوحيدة المعطاة لنا حقيقة هي "الظواهر " فليس الوجود او الشيء في ذاته امر بين بذاته على الاطلاق – كما يفترض الموقف الطبيعي بشكل تلقائي – ومع ان الوجود "ظاهرة " فانه يبقى معطى كسائر الأشياء لمجال الحدس الفينومينولوجي مثل كل الظواهر المعطاة للوعي او كل ما يظهر على نحو ما. "جلال كامل 1993،ص164"

الخاتمة

هل نجح هوسرل الذي غالبا ما يوصف بانه ترك تراثا من سوء الفهم للعديد من موضوعاته في مسعاه في ان تكون الفلسفة الفينومينولوجية هي العلم الفلسفي الدقيق ؟ام انه اخفق في وضع المنهج المناسب للفلسفة الذي يمكنها من بلوغ الهدف الذي تصبو اليه منذ نشأتها الا وهو :بلوغ الحقيقة.؟وهي ما جعلت البعض الى الاعتقاد بان فلسفة هوسرل بأكملها قد انحصرت في عملية البحث عن منهج فلسفي والرغبة في توضيح معالم هذا

المنهج ،وكأنه ليس ثمة فلسفة فينومنولوجية على الاطلاق ،اذ انه بقي يشرح منهجه قرابة ثلاثين سنة واكثر. يهدف من خلاله الى اقامة نظام سيكولوجي يكون بمثابة ركيزة متينه لإقامة علم نفس خالص من جهة ،ولوضع فلسفة كلية شاملة تكون بمثابة معيار لفحص منهجي لسائر اسس العلوم من جهة اخرى "زكريا ابراهيم ،ص320".هذا من جهة ،ومن جهة اخرى يمكن ان نتسائل:هل تجنبت الفلسفة الفينومينولوجية في ان تتحول الى شكل من اشكال المثالية الالمانية التقليدية.؟ كان هوسرل ينظر الى فلسفته باعتبارها الحصيلة النهائية لكل التقليد الفلسفي الذي ابتدأ من افلاطون مرورا بديكارت ،باعتبار انه وجد "المبدأ" الذي من خلاله نستطيع ان نفسر كل شيء. وهو ذات الادعاء الذي ادعاه قبله هيجل من خلال وضعه المنهج الجدلي ،ويبدوان هذه النبرة ملازمة للفلاسفة الالمان فحتى كانت كان يرى انه وضع الشروط النهائية لكل معرفة صحيحة ،وماركس ادعى ذلك فيما بعد من خلال المادية التاريخية .لكن يبقى صحيحا ان نقول ان الفلسفة القارية في القرن العشرين هي فلسفة عقلية فقط من خلال الاحالة الى هوسرل ومنهجه ومن هنا ظهرت الفلسفات الوجودية التي اصطنعت ذلك المنهج الظاهراتي لوصف خبرات اصحابها وتجاربهم مثل سارتر وهيدغر وميرلوبونتي وجبريل مارسيل .ومثلما ان الفلسفة لا يمكن ان تختفي ،فهي ايضا لا يمكن ان تتوقف ولا يمكن لأي مذهب فلسفي ان يدعي انه يمتلك صحة كلية وبعبارة هوسرل نفسه :ان الفلسفة عبارة عن بدء مستمر. "Magee p255 "

ان وضيفة الفلسفة تفسيرية بالأساس لأنها تبين ما لا يمكن ان يقال في العلوم ،وموضوعها هو تنبيه الانسان للوجود العام المنخرط فيه هو وبقية الموجودات المتناهية اي انها تحاول ان تفهم الوجود العام "being "من خلال دراسة الوجود المتعين "existence" هذا هو الهدف النبيل الذي كانت تسعى اليه الفلسفة الفينومنولوجية ،ليس من خلال الممارسة الفلسفية التقليدية التي كانت تفترض الوصول الى هذا الفهم دون ان تكون هناك مراجعة شاملة لأدواتها ومفاهيمها من اجل تحقيق امكانية ان تكون علما دقيقا ،وهو هدف افترض هوسرل انه لا يمكن تحقيقه الا من خلال النقص الذي يعتري اسس العلوم الطبيعة ونظرتها "الموضوعية "إلى الموجودات دون تمييز وتحديدا النظرة الى "الوعي" الذي هو ليس "شيئا" موجودا مثل بقية اشياء العالم بل هو نمط متميز من الوجود يتطلب نمطا متميزا من العلم ،وهو النمط الذي تحاول الفلسفة الفينومينولوجية ان تؤسسه . ونحن نعرف جميعا ان هذا الامر لم يتحقق ،لكنه لا يعني ان محاولة الفلسفة الفينومينولوجية ذهبت هباءا،اوان اهميتها كمدرسة ومنهج فلسفيان قد تراجعت ،فمازالت مجلدات اعماله تنشرلان هوسرل كان يدون كل شيء فهو يسجل باستمرار الافكار والخواطر التي ترد على فكره لذا نجد اليوم هذا الانتاج

الغزير الذي خلفه في ارشيفه والذي تكفلت جامعة لوفان في بلجيكا بجمعه ونشره ابتدأ من سنة 1950 وبدعم من اليونسكو وبالتعاون مع جامعة كولينا في المانيا تحت عنوان "هوسرلينا " والتي وصلت الى الان40 مجلدا وهي تتضمن كل ما خلفه الفيلسوف من كتابات سواء التي نشرها في حياته او التي تركها خلفه كمخطوطات وحتى المحاضرات والمداخلات ايضا جمعت وضمت الى هذه المجموعة. "هوسرل 2008،ص12"كل هذا يدلل على ان الفينومنولوجيا تكتسب زخما جديدا في الفضاء الفلسفي القاري وربما حتى العالمي. لكن هذا بالطبع لا يعني ان تبقى بمنأى عن النقد .

المراجع والمصادر:

1- هوسرل ،ادموند ،ازمة العلوم الاوربية والفنومنولوجيا الترنسندنتالية :مدخل الى الفلسفة الفينومنولوجية ،ترجمة وتقديم اسماعيل المصدق ،مراجعة جورج كتورة . المنظمة العربية للترجمة بيروت -2008 ط1 ،ص42

2- ادموند هوسرل، تأملات ديكارتية –المدخل إلى الظاهريات-، ترجمة وتقديم نازلي إسماعيل حسين، دار المعارف ،مصر ،1970،

3- ادموند ،هوسرل ،فكرة الفينومينولوجيا ،ترجمة د. فتحي انقزو،المنظمة العربية للترجمة ،بيروت ،2007،ط1

4- هوسرل ،ادموند الفلسفة علما دقيقا – ترجمة وتقديم محمود رجب -المجلس الاعلى للثقافة - القاهرة،ط1 1971

5- أنطوان خوري / مدخل الى الفلسفة الظاهراتية / ط1 / دار التنوير / بيروت لبنان ، 1984 .

6- د.بونفقه ،نادية ،ادموند هوسرل ،موسوعة الابحاث الفلسفية ،الفلسفة الغربية المعاصرة ،صناعة العقل الغربي من مركزية الحداثة الى التشفير المزدوج ،ج1،اشراف وتحرير د. علي عبود المحمداوي ،الجزائر- الرباط 2013 ،ط1

7- زكريا ،ابراهيم ،دراسات في الفلسفة المعاصرة ،ج1،مكتبة مصر – القاهرة ،دون تاريخ .

8- فؤاد كامل – اعلام الفكر الفلسفي المعاصر ،دار الجيل بيروت ،ط1 ،1993.

7 - محمد بن سباع – تحولات الفينومينولوجيا المعاصرة – ميرلوبونتي في مناظرة هوسرل وهيدغر – بيروت 2015

9- هوتدرتش ،تد ، دليل اكسفورد للفلسفة ،ترجمة نجيب الحصادي ، الجزء الثاني ،ليبيا ط1، 2003

Magee,Bryan,the great philosophers, first published.London,1987. -10

المراجع والمصادر مترجمة الى اللغة الانكليزية :

References and sources :

1-Husserl, Edmund, The Crisis of European Science and Transcendental Phenomenology: An Introduction to Phenomenological Philosophy, translated and presented by Ismail Al-Mosaddegh, reviewed by George Ktoura. Arab Organization for Translation Beirut - 2008 1st Edition ،

2 Husserl,Edmund,Cartesian Meditation- Introduction to Phenomenology -, translated and presented by Nazli Ismail Hussein, Dar Al-Maaref, Egypt, 1970 ،

3- Husserl, Edmund, the idea of phenomenology, translated by Dr. Fathi Angozo, the Arab Organization for Translation, Beirut, 2007, 1st Edition.

4- Husserl, Edmund, Philosophy is an accurate science - translated and presented by Mahmoud Ragab - Supreme Council of Culture - 1971 Cairo, 1st Edition .

5- Entoine, Khoury / Introduction to Phenomenological Philosophy / 1st Edition / Dar Al-Tanweer / Beirut, Lebanon, 1984 .

6- Dr. Bonfaka, Nadia, Edmund Husserl, Encyclopedia of Philosophical Research, Contemporary Western Philosophy, Western Mind Industry from the Centrality of Modernity to Double Coding, Part 1, Supervised and edited by Dr. Ali Abboud Al-Muhammadawi, Algeria - Rabat 2013, 1st Edition .

7- Zakaria, Ibrahim, Studies in Contemporary Philosophy, Part 1, Egypt Library - Cairo, undated. .

-Fouad, Kamel - Media of Contemporary Philosophical Thought8

Dar Al-Jeel Beirut, 1st Edition, 1993. .

9- Muhammad ibn Sabaa – Transformations of Contemporary Phenomenology – Merleau-Ponte in the Husserl and Heidegger Debate – Beirut 2015 .

10-Hottrich, TD, Oxford Guide to Philosophy, translated by Najib Al-Hasadi, Part Two, Libya, 1st Edition, 2003 .